﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المائدة: 58]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تخصيص الصّلاة بعد ذكر الدّين جملة توكيدًا لشقاوتهم وسوء طويتهم

لمّا ذكر استهزائهم بالدّين عمومًا بيّن استهزائهم بحكم خاصّ من أحكام الدّين؛ إظهارًا لكمال شقاوتهم[1]، فلمّا "قدّم أنهم الذين اتّخذوا الدّين هزوًا ولعبًا اندرج في ذلك جميع ما انطوى عليه الدّين، فجرّد من ذلك أعظم أركان الدّين ونصّ عليه بخصوصه، وهي الصّلاة التي هي صلة بين العبد وربّه، فنبّه على أنّ من استهزأ بالصّلاة ينبغي أن لا يُتّخذ وليًّا، ويطرد، فهذه الآية جاءت كالتّوكيد للآية قبلها"[2].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: (ندا) ناداهُ مُناداةً ونداء، أي صاح به، والنِّدَاءُ: رفْعُ الصَّوت وظُهُورُهُ، وقد يقال ذلك للصَّوْت المجرَّد، ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: دَعَوْتُمْ النّاس إليها بالأذان[3]. وندى الصوت: بعد مذهبه[4]، ومنه قوله ﷺ لصاحب الرّؤيا بالأذان: «وَلْيُنَادِ بِلَالٌ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ»"[5].

2) ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: الهُزْءُ: السُّخْريةُ والاستخفافُ، يقال: استهزأ به يستهزئ، أي استخفّ به، وهو مزح في خفية، وقد يقال لما هو كالمزح، فممّا قصد به المزح قوله: ﴿ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾[6].

---

(1) الرّاغب، تفسير الراغب: 4/385، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/388، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/303، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/53.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/303.

(3) الجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات: (ندا).

(4) الواحديّ، البسيط: 7/441، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/224.

(5) ابن ماجه، السنن، الحديث رقم: (706)، وإسناده حسن.

(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللّغة، السّمين، عمدة الحفاظ: (هزأ)، والراغب، المفردات: (هزؤ).

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

إخـــبـــار عـن سخريتهم من شرائع الإسلام

يخبر الله تعالى أنّه كما سخروا بالدّين فهم كذلك يسخرون ويلعبون إذا أَذّنْتُم للصّلاة التي هي أعظم قربة، وبسبب ذلك أنّهم قوم لا يعقلون عن الله معاني عبادته وشرائعه التي شرّعها للنّاس[1].

## ❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ والبَلاغِيُّ:

### بلاغة العطف:

عطف الاستهزاء بـالـصّـلاة على الاســتــهــزاء بالدّين، تأكيدًا لـلـنّـهـي عـن مولاتهم وبيانًا لسببه

قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ معطوف على ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾، فهو من تمام الصّلة، ليكون وصفهم: اتّخذوا دينكم وصلاتكم هزوًا ولعبًا، تنبيهًا على أنّ من استهزأ بالصّلاة ينبغي أن لا يُتّخذ وليًّا، فالآية جاءت توكيدًا لمضمون لآية قبلها[2].

### السّرّ في التعبير بـ (إذا):

عــبّر بــ (إذا) إخبارًا بأنّ وقوع استهزاءهم كان مصاحبًا للأذان، ودلالةً على تكرار استهزاءهم

قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ إخبار بحصول الاستهزاء في وقت النّداء للصّلاة[3]، فهم يظهرون استهزاءهم على وجه الخصوص مع الأذان للصّلاة، وفيه دلالةٌ تكرار فعل ذلك؛ لأنّ الأذان متكرّرٌ.

### لماذا أسند النّداء للجميع والمنادي واحد:

أسند النّداء إلى ضمير الجمع؛ لأنّ الـنّـداء متعلّق بالصّلاة الـتـي تـقـام جماعة

قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أسند النّداء إلى ضمير المخاطبين مع أنّ المنادي للصّلاة واحدٌ[4]، وعلّة ذلك أنّ النّداء متعلّق بالصّلاةِ، والصّلاةُ تقام جماعة.

(1) نخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/118.
(2) الرّاغب، تفسير الراغب: 4/385، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/303.
(3) الطّيبي، فتوح الغيب: 5/403.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/303.

### السّرّ بالتّخصيص بعد التّعميم:

خـصّ الـصّـلاة بـالـذّكـر بعد ذكـر الـدّيـن عـمـومًا لأنّـها أظـهـر شعـائر الدّين، فأظهروا استهزاءهم بها

قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قد أخبر سالفًا أنّهم يتّخذون عموم الدّين هزوًا، والصّلاة مضمّنة في الدّين، وإنّما خصّها بالذّكر إظهارًا لكمال شقاوتهم؛ لأنّ الصّلاة أظهر شعائر الدّين، والنّداء إليها معلَنٌ للجميع[1]، فلمّا كانت شعيرة ظاهرة كان اتخاذهم إيّاها هزوًا ظاهرًا، وإظهارُ الهزوء بشعائر النّاس دليلٌ على السّفاهة.

### مرجع الضّمير:

يـسـتـهـزئـون بـالـصّـلاة وأعـمـالـهـا والنّداء إليها

قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا﴾ يرجع الضّمير المؤنّث في: ﴿ٱتَّخَذُوهَا﴾ في الظّاهر على الصّلاة، مع صلاح عودته على المصدر المفهوم من ﴿نَادَيْتُمْ﴾ أي المناداة[2]، وفي ذلك دلالة على أنّ الاستهزاء بالأذان هو استهزاء بالصّلاة؛ لأنّها العبادة المقصودة بالنّداء، وإنّما شُرّع الأذان لأجلها، فمن استهزأ به فإنّما قد استهزأ بالصّلاة.

### فائدة الإخبار بالمصدر دون الوصف:

الإخبار بالمصدر لـلـمـبـالـغـة، بيانًا لمبالغتهم في الاسـتـهـزاء واللّعب بالصّلاة

قوله جلّ شأنه: ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ عبّر عن سلوكهم القبيح بالمصدرين (الهزؤ، واللّعب)[3]؛ للدّلالة أنّهم جعلوا الصّلاة الهزؤ ذاته، واللّعبَ نفسه، أي صارت هي لعبتهم، مبالغةً في استهزائهم.

### علّة اتّخاذهم الصّلاة لعبًا:

عـبّر بـالـلّـعـب عـن سـوء مـعـتـقـدهـم، وقلّة إدراكهم، إذ جهلوا الغاية مـن شـرف العبادة

قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَعِبًا﴾ عبّر باللّعب عن سوء فعلهم واعتقادهم، فإنّما اتّخذوها لعبًا؛ لعدم إدراكهم الغاية الشّريفة من العبادة، اعتقادًا منهم أنّها تخلوا من الفائدة والمنفعة في الدّين والدّنيا[4].

(1) الرّاغب، تفسير الراغب: 4/385، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/53.
(2) الزمخشري، الكشاف: 1/650، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/388، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/303، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/133.
(3) الواحديّ، البسيط: 7/442.
(4) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/388.

### بيان المشار إليه باسم الإشارة:

إشـــارة إلى الاتّـــخـــاذ والاســتـــهـــزاء المذكورين سابقًا

قوله جلّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ الإشارة إلى فعلهم أي الاستهزاء واللّعب، أي: ذلك الاستهزاءُ والسّخرية واتّخاذهم شرائع الإسلام لعبة[1].

### إيثار الإشارة بصيغة البعد:

آثـــر الإشـــارة إلى استهزائهم بصيغة البُعد إظهارًا لفحشه وبـــعـــده في الـقـبـاحـة، ومـنـاسـبـة للمبالغة

قوله جلّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ الإشارة إلى أفعالهم القبيحة باسم الإشارة الدّالّ على البعد لبيان عظم فحشها وبعدها في القباحة، وفيه تأكيد للمبالغة التي عبّر بها الإخبار بالمصدر عن لعبهم وهزؤهم، فتتناسب الإشارة بالبعد لبيان عظم استهزائهم مع المبالغة فيه.

### فائدة التّعبير بالباء السّببيّة:

عـــبّر بـالـبـاء السّببيّة لبيان أنّ سبب اتّخاذهم الـصّـلاة هـزؤًا ولعبًا خلوّهم من كمال العقل

قوله جلّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ عبّر بالباء السّببيّة لبيان علّة اتّخاذهم الصّلاة هزوًا ولعبًا؛ إذ الهزوء واللّعب في أمر الدّين إنّما هو شأن أهل السّفه والخفّة والطّيش، وهذا دليل انعدام العقل[2]، والمعنى: أنّ هذا الذي كان منهم سببه عدم عَقْلِهم، وسفه أحلامهم[3].

### فائدة الإخبار عن سبب استهزائهم بالجملة الاسميّة:

أخبر بالجملة الاسميّة تأكيدًا لمضمونها، وهو سبب سفاهتهم بـالاسـتـهـزاء بشعائر الإسلام

قوله جلّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ عبّر تعالى بالجملة الاسميّة المؤكّدة بـ (إنّ) عن علّة اتّخاذهم باتّخاذ الصّلاة هزوًا ولعبًا؛ تأكيدًا لمضمون الآية، فإنّ السّامع يستغرب أن يصفهم بانتفاء العقل وهم ناس أسوياء، فجاء هذا التّأكيد لإزالة هذا الاستغراب؛ فإنّ الاستهزاء بالدّين منافٍ للتّعقّل[4].

(1) السمين، الدر المصون: 4/317، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2262.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/303، وابن جزي، التسهيل: 1/236، والقنّوجي، فتح البيان: 3/455.
(3) السمين، الدر المصون: 4/317، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2262.
(4) السمين، الدر المصون: 4/317.

### إيثار التّعبير عن انتفاء عقلهم بالجملة الاسميّة:

آثر التّعبير عن انتفاء العقل عنهم بالجملة الاسميّة تأكيدًا لجهلهم

قوله جلّ شأنه: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ أخبر تعالى عن انتفاء العقل عنهم بالجملة الاسمية المؤكّدة التي تثبت المعنى على وجه القوّة والثّبوت؛ للدّلالة على تأكيد جهلهم وإثبات سفهاتهم.

### دلالة جعل المسند فعلًا مضارعًا منفيًّا:

عبّر عن انتفاء العقل عنهم بالفعل المضارع لطيشهم، ودلالةً على استمرار انتفائه

قوله جلّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ عبّر عن انتفاء العقل عنهم بالفعل المضارع المنفيّ للدّلالة على استمرار النّفي؛ لبيان أنّ السّفه والطّيش عادةٌ لهم.

### علّة نفي العقل عنهم:

لمّا كان فعلُهم ينافي لازمَ العقلِ نفاه عنهم تحقيرًا لهم

قوله جلّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ نفيُ العقلِ لا يراد منه انتفاء العقل؛ إذ هو مناط التّكليف والخطاب، فالمنفيّ هو ما يستوجبه العقل من معرفة جلال اللّه وهيبته، فلمّا جهلوا ذلك بسوء مسلكهم نفاه عنهم تحقيرًا لهم، فهم بمنزلة من لا عقل له يمنعه من القبائح[1].

## المتشابه اللّفظي:

### نفي العقل ونفي العلم:

الاستهزاء بالصّلاة سفاهة، يناسبها نفي العقل

قوله جلّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾، فيه تشابه لفظيٌّ مع قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التّوبة: 6]. غير أنّه نفى في آية سورة المائدة العقل، وفي سورة التّوبة نفى العلم، فما وجه تخصيص كلّ موضع بما جاء فيه؟

الإجابة أنّنا نجد أنّ الآية في سورة المائدة بدأت بقوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ فلمّا كان من يفعل ذلك سفيهًا لا يعقل، فإنّ الذي يناسبه هو نفي العقل لا نفي العلم، فقال جلّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/388، والصّاوي، حاشية الصاوي على الجلالين: 1/274.

**إسماع كلام الله تعالى للمشركين لتعليمهم يناسبه ذكر انتفاء العلم**

أمّا الآية في سورة التّوبة فقد بدأت بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: 6] فلمّا كان سماع كلام الله تعالى سببًا للعلم بالتّوحيد وسماحة الإسلام، وكان ذلك ممّا لا يعلمه هؤلاء المشركون؛ ناسبه أن يكون النّفي متسلّطًا على العلم، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التوبة: 6].

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»